ملخّص برنامج الخاتمة - الحلقة (١٤٧) - اعرف امامك (ج٤٦)
صحائف العقيدة السليمة - القسم(40)
الصحيفة (٥) - شؤون عقيدة التوحيد (ق١٦)
الشأن (٣) - العبادة التوحيدية (ج١)
السبت : ١٦/شوال/١٤٤٢هـ - الموافق ٢٩/٥/٢٠٢١م
عبد الحليم الغزّي

في هذه الحلقة سنبدأ حديثنا عن الشأن الثالث من شؤون عقيدة التوحيد والعنوانُ: **العبادة؛ العبادةُ التوحيديّة.**
العبادةُ من جهة: هي الموطنُ الَّذي يُمثِّلُ التطبيقَ العمليَّ لعقيدتنا التوحيديَّة، فالعبادةُ تَطبيقٌ عمليّ صريحٌ واضحٌ لِما تقدَّمَ من حديثٍ في الأركان الأربعة، لعقيدتنا التوحيديّة.
والعبادةُ من وجه آخر: هي السببُ في وجودنا، فإنَّ الله خلقنا للعبادة، أنا لا أتحدَّثُ عن ركوعٍ وسُجود، العبادةُ برنامجُ حياة، والركوعُ والسجودُ طقوسٌ هي جزءٌ من برنامجِ الحياة، فإنَّني حينَ أتحدَّثُ عن العبادةِ هنا أتحدَّثُ عن برنامجِ حياةٍ يريدهُ اللهُ سبحانهُ وتعالى لنا.
وهذا البرنامجُ؛ هو تطبيقٌ عمليٌ مباشرٌ لعقيدتنا التوحيديّة.
قبل أن أدخل في التفاصيل أردتُ أن ألفت أنظاركم إلى قضيَّةٍ مُهمَّةٍ جِدَّاً قد تغيبُ عن الأذهان بسببِ الثقافة المستدبرة، إنَّها ثقافةُ مراجع النَّجف، ثقافةٌ مُستدبرةٌ أعطَت ظهرها لـمُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ صلواتُ الله عليهم، يتكرَّرُ على الألسنة، ويَشيعُ بينَ المسلمين خُصوصاً في الوسطِ السُنِّي، وبشكلٍ خاص في الوسطِ الوهابي، في الوسطِ السَّلفيَ، وهذا الكلامُ يُردِّدونَهُ في الفضائيات، وفي المواقعِ الالكترونيّة، بالنتيجة هو شائعٌ بينهم، وفي نفسِ الوقتِ هو شائعٌ في الوَسط الشيعي، وإنَّمَا شَاعَ في الوسط الشيعي لأنَّنا أخذناهُ من هُناك، مثلما أخذنا بقيّة ديننا منهم، وتركنا دينَ مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ صلواتُ الله عليهم.
أمرٌ يُشاع؛ من أنَّ الدين سهلٌ بسيطٌ، هذا الكلامُ يُردِّدهُ الوهابيّون.
الدينُ يمكن أن نصفهُ من أنَّهُ سهلٌ إذا ما جرى في السياقات الصحيحة، فهو سهلٌ من جهة شدَّة التكاليف وتحمُّلها، فإنَّ الدين لا يُكلِّفُ الإنسان أكثر من طاقته، بل لا يُكلِّفهُ حتَّى بحدودِ طاقته إلَّا في الموارد المهمَّة جِدَّاً، هناك من الموارد المهمَّة جِدَّاً فإنَّ الإنسان يُكلَّفُ بحدودِ طاقته، لكن في أغلبِ معالـمِ الدينِ وفي أغلبِ تفاصيلهِ وفي أغلبِ جهاته فإنَّ التكليفَ دون طاقة الإنسان، وفي كثيرٍ من الأحيان فإنَّ التكليفَ يكونُ أقلَّ من طاقة الإنسانِ بنحوٍ كثير، بنحوٍ واسع، على أيِّ حال، يمكننا أن نصف الدين بالسهولة من هذه الجهة.
لكنَّ الدين ليسَ سهلاً، لو كانَ الدينُ سهلاً على الأقلِّ من وجهة نظرِ ثقافة العترة الطاهرة، لا شأنَ لي بثقافة سقيفة بني ساعدة، ولا شأنَ لي بثقافة سقيفة بني نجف بني طوسي، من وجهة نظرِ ثقافة العترة الطاهرة إذا كانَ الدينُ في غاية البساطة وفي غاية السهولة، لماذا الاحتياجُ إلى أئمَّة بمواصفاتٍ خاصَّة إلى الحدِّ الَّذي نعتقدُ فيهم؛ (**أنْ لا فَرقَ بَينَهُم وَبَينَ الله إلَّا أنَّهُم عِبادُهُ وَخَلقُه**)، لماذا الحاجةُ إلى أئمَّة بهذه المواصفات؟ لماذا الحاجةُ إلى كُلِّ تلكَ التضحيات؟ لماذا قُدِّمت الزَّهراء قرباناً على مذبح الدين؟ ولماذا جرى الَّذي جرى على أميرِ المؤمنين وعلى إمامنا المجتبى؟ ولماذا جرى ما جرى في عاشوراء في كربلاء؟! إذا كانَ الدينُ في غاية البساطة وفي غاية السهولة، إنَّني أتحدَّثُ عن الجانب العقائدي، عن الجانب الفكري، عن الجانب المعرفي، عن الجانب العلمي، الدينُ منظومةٌ عقائديةٌ وفكريةٌ مُعقَّدةٌ جِدَّاً.
لو لم يكن الأمرُ هكذا لماذا نقرأ في قُرآنِ مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ في الآيةِ السابعة بعدَ البسملة من سورة آل عمران: ﴿**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ**﴾، فلماذا حُصرَ التأويلُ وهوَ العلمُ الحقيقيّ للدِّين لماذا حُصرَ بالله سبحانهُ وتعالى وبمجموعة وصفها اللهُ بالراسخين في العلم؟! لم يصفهم بالعلماء وإنَّما راسخونَ في العلم، إذا كانَ الأمرُ بسيطاً ومُستسهلاً مثلما يُقالُ لكم فلماذا يتحدَّثُ القُرآنُ بهذا المنطق؟ ولماذا نحنُ بحاجة عند الظهور الشريف إلى إعادة تكوينِ عقولنا؟! لا أتحدَّثُ عن التكوين المعرفي فقط، وإنَّما أتحدَّثُ عن التكوين الخَلقي فإنَّ الإمام يضعُ يدهُ على رؤوس الخلق كي يجمعَ بذلكَ عقولهم، إذا كانت القضيَّةُ بهذه البساطة لماذا نُسخت مرحلةُ التنزيل وانتقلنا إلى مرحلة التأويل عبر طوفانٍ معرفيٍ هائلٍ من قبلهم؟! إن كانَ ذلك بما يرتبطُ في تفسيرِ قُرآنهم أو بما طرحوهُ لَنا من الأسرارِ وكنوز المعارف في أدعيتهم وزياراتهم، أو بما وضعوه لنا في خزائنِ كلامهم في آلافٍ مُؤلَّفة من أحاديثهم ومن خُطبهم ومن بياناتهم الكثيرة في عددها، والعظيمة في فحواها ومضمونها، لماذا كُلُّ هذا؟! إذا كان الدينُ أمراً مُستسهلاً أمراً بسيطاً؟! أتحدَّثُ عن الجانب العقائدي، عن الجانب المعرفي.
وبعد كُلِّ هذا فإنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله اشترط علينا في بيعة الغديرِ: (أنْ نَأخُذَ العلمَ من عليٍّ وآلِ عليٍّ فقط)، وليسَ أن نأخذ العلمَ من عليٍّ وآلِ عليٍّ فقط، أن نأخذَ قواعد التفكير، أن نأخذ المنطق العلويّ، وقواعدَ التفهيم، من عليٍّ وآلِ عليٍّ فقط، فهل القضيَّةُ مُستسهلةٌ وبسيطةٌ كما يخدعونكم؟ القضيَّةُ ليست كذلك، من هنا أوجبَ الأئمَّةُ على الشيعة أن يتفقَّهوا في دينهم أسبوعياً، وهذا أمرٌ واجب، صحيحٌ شائعٌ في أوساطنا من أنَّهُ أمرٌ مندوب، لكنَّ الحقيقة ليست كذلك، التفقُّهُ في الدينِ واجبٌ ويجبُ على الشيعي أن يُخصِّص وقتاً على الأقل مرَّةً واحدةً في الأسبوع، على الأقل، أمَّا إذا وجدَ نفسهُ أنَّ هذا الوقت لا يكفيه فعليه أن يُضيفَ وقتاً آخر، لكن على الأقل أن يُخصِّص وقتاً في الأسبوعِ ولو لساعة لساعتينِ في الأسبوع أن يتفقَّه في دينه، وليسَ التفقُّه أن تحضروا صلاة الجمعة خلف وكلاء المرجعية الَّذين لا يُحسنون قراءة سورة الفاتحة في صلواتهم، ما هو

هذا طايح حظه سربوت ماذا ستنتفعون منه؟! هذا هو بحاجة إلى تعليم، هو لا يُحسنُ قراءة سورة الفاتحة، وقد عرضنا الفيديوات، والقضيّةُ ليست محصورةً بالأشخاص الَّذين عرضنا فيديواتهم، هذه ظاهرةٌ عامَّة في وكلاء المرجعية وفيمن تعتمدهم المرجعيّةُ السيستانيّةُ وغيرها..

أقول لكم: إذا أردتم التفقّه بحسب موازينِ العترةَ الطاهرة وإنَّني أتحدَّثُ عن التفَقُّه الواجبِ عليكم ما هو بأمرٍ مستحب، يجبُ عليكم أن تتفقَّهوا في دينكم بقدرِ ما تستطيعونَ ولو بمقدارِ ساعة في الأسبوع، يجبُ عليكم ذلك، عودوا إلى برامج قناة القمر، وعودوا إلى مواقعها إلى نشاطها على الشبكة العنكبوتيّة، تواصلوا مع هذه الثقافة الواضحة الأصيلة، وإذا وجدتم مكاناً وجهةً أخرى تُقدِّمُ لكم أفضل مما تُقدِّمهُ قناةُ القمر فاتركوا قناة القمر، وتوجّهوا إلى تلكَ الجهة الَّتي تَنالونَ مَن خلالها ثقافةً أفضل وثقافةً أعمق وثقافةً أنقى تقودكم إلى إمامِ زمانكم صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليه.

أقرأ عليكم بعض الأحاديثِ الَّتي ترتبطُ بهذا الموضوع:

في (الكافي الشريف) الجزء الأول، الطبعة نفسها الَّتي قرأتُ عليكم منها في الحلقات الماضية، في الصفحة الثامنة والأربعين، الحديثُ التاسع، وهو البابُ الأول من كتابِ فضل العلم، (بابُ فرض العلم ووجوبِ طلبه والحثِّ عليه)، الحديثُ التاسع: **عَن إِمَامنَا الصَّادقِ صَلواتُ الله وسَلامُه عَلَيْه، قَالَ لَهُ رَجُلٌ** - من أصحابه - **قَالَ لَهُ رَجُلٌ: جُعلتُ فدَاك، رَجُلٌ عَرَفَ هَذَا الأَمْر** - عَرَفَ هذا الأمر؛ بايع بيعةَ الغدير، عَرَفَ إمام زمانه - **رَجُلٌ عَرَفَ هَذَا الأَمْر لَزِمَ بَيتَهُ وَلَم يَتَعَرَّف إِلَى أَحَد منْ إِخْوَانه** - ماذا قال إمامنا الصّادقُ؟ - **كَيفَ يَتَفَقَّهُ هَذَا فِي دِينه؟** - هو بحاجةٍ إلى تفقُّه، حتَّى لو بايعَ بيعةَ الغديرِ وكانَ صادقاً في بيعته، لا كَبيعَة مراجعَ النَّجف الَّتي نقضوها، ولا كبيعتكم أنتم وبيعتي أنا وبَيعة آبائنا وأجدادنا، فهذا الرجل لم يُبايع كبيعة الشياطين، ولا كبيعة الحمير، أتحدَّثُ عن البشرِ الحمير من أمثالنا، ممَّن استحمرهم أولئكَ الشياطين، فهذا الرجلُ بايع بيعة الغديرِ بشكلٍ صحيح، وعرفَ إمام زمانه، لكنَّهُ لزم بيتهُ ولم يتعرّف إلى أحدٍ من إخوانه، الإمام قال: **كَيفَ يَتَفَقَّهُ هَذا فِي دِينِه؟** هو بحاجةٍ إلى تفقُّه، التفقُّه؛ تَفَعُّل، تحوّل، تطوّر، تقدُّم، فكيفَ يتفقَّهُ هذا في دينه؟!

قطعاً الإمامُ يتحدَّثُ هنا عن السببِ الَّذي سيقودهُ إلى التفقُّه، رُبَّما في زماننا تتوفَّرُ الأسبابُ للتفقُّه من دونِ أن يختلط أو أن يلتقي النَّاسَ مع بعضهم، ولكن يبقى التفقُّهُ ليسَ أمراً علمياً فحسب، التفقُّهُ بحاجة إلى عملٍ بحاجة إلى تبليغ، كما يقولَ أمير المؤمنين في وصيّته لكُميل وهو يُبين لهُ فضل العلمِ على المال، الإمامُ يقولُ لكميل وهو يُفضِّل لهُ العلم عَلى المال: (**يَا كُمَيْل الْمَالُ تُنْقصُهُ النَّفَقَة وَالْعلْمُ يَزْكُو عَلَى الإِنْفَاق**)، فحينما ننفقُ العلم فإنَّ العلم سيزكو سينمو، هناك نقاشٌ حتَّى لو كانَ بينَ المرء ونفسه، هناكَ تدبُّرٌ وتفكُّرٌ وتفهُّمٌ، وهو في نفس الاتجاه تفقُّه، (أَلا لَا خَيْرَ فِي عِلْمٍ لَيس فيه تَفَهُّم) تَفَعُّل، (أَلا لا خَيرَ فِي قِرَاءَة لَيسَ فيهَا تَدبُّر) تَفَعُّل، (أَلَا لَا خَيرَ فِي عِبَادَة لَيسَ فيهَا تَفَكُّر)، يجبُ عليك أن تتفقَّه، تفقَّه.

فَالإمامُ يقول: **كَيفَ يَتَفَقَّهُ هَذا فِي دِينه؟** إذاً أراد أن يزداد في دينه، وهذا أمرٌ واجبٌ عليه، يجبُ علينا أن نتفقَّه في ديننا، هذا الكلام الَّذي يقالُ من أنَّ هذا المضمون هو في حدِّ الاستحبابَ ليسَ صحيحاً، ليس صحيحاً أبداً.

استمعوا إلى ما يقولهُ إمامنا الصَّادق صلواتُ الله وسلامهُ عليه:

الحديثُ السادس، الإمامُ يقول: **تَفَقَّهُوْا فِي الدِّيْن** - هذا أمر - **تَفَقَّهُوْا فِي الدِّيْن فَإِنَّهُ مَنْ لَـم يَتَفَقَّهُ مِّنْكُم فِي الدِّيْن فَهُوَ أَعْرَابِي** - أتعرفونَ هذا الوصف هو وصفٌ للأوَّل والثاني، الأعراب بحسب القُرآن المفسَّر بتفسيرهم، بحسبِ مصطلحاتهم، بحسبِ ثقافتهم الأعراب؛ هم نواصبُ السقيفة، ولذلكَ هذا التصوّرُ عن الدين من أنَّهُ أمرٌ بسيطٌ مُستسهلٌ مجموعةُ جُمل وكلمات هكذا يقنعون أتباعهم هذا منطقُ البدو، هكذا فهم البدو في زمن التنزيل الدين، هذا فهمُ البدو، ما هو بفهمِ مُحمَّد وآل مُحمَّد من أنَّ الدين أمرٌ مُستسهلٌ وبسيطٌ، قطعاً كُلُّ شخص بحسبه، أنا لا أتحدَّثُ عن أنَّ الجميع لابُدَّ أن يُكلَّفوا بنفس التكليف، ولابُدَّ أن يصلوا إلى نفس المنزلة من التفقُّه والتفهُّم والتدبُّر والتفكُّر، كُلٌّ بحسبِ عقله، وكُلٌّ بحسبِ مواهبه وظروفه وإمكاناته.

الإمامُ هكذا يقول: **تَفَقَّهُوْا فِي الدِّيْن فَإِنَّهُ مَن لَـم يَتَفَقَّه مِّنْكُم فِي الدِّيْن فَهُو أَعْرَابِي، إِنَّ الله يَقُول فِي كِتَابِه: "لِيَتَفَقَّهُوْا فِي الدِّيْن وَلِيُنْذِرُوْا قَوْمَهُم إِذَا رَجَعُوْا إِلَيْهِم لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُون"** - هناك نشاطٌ مثلما قال إمامنا الصّادقُ قبل قليل عن ذلك الرجل الَّذي بايع بيعة الغديرِ بشكلٍ صحيح، هكذا نفترضهُ مثلما سأل السائل أنَّ الرجل قد عَرَفَ هذا الأمر، فإنَّنا نفترضُ من أنَّهُ قد عرفهُ بشكلٍ صحيح، بايع بيعة الغديرِ بشكلٍ صحيح لا كبيعةِ شياطين النَّجف، أتحدَّثُ عن المراجع، ولا كبيعة الحمير البشر، أتحدَّثُ عن أتباعِ المراجع.

الحديثُ السابع: **عَن مُفضَّلِ بنِ عُمَر، قَالَ: سَمعْتُ أَبَا عَبْد الله** - المفضَّلُ يُحدِّثنا عن إمامنا الصَّادق صلواتُ الله عليه - **يَقُول** - يُخاطبُ الشيعة - **عَلَيْكُم بِالتَفَقُّه فِي دِيْنِ الله** - ما قال عليكم بالفقه، قال: عليكم بالتَفَقُّه، عمليّة تفعّل، تطوّر، عمليّةٌ بذلٍ للجُهد كي نتعلَّم..

-**عَلَيْكُم بِالتَفَقُّه فِي دِيْنِ الله وَلَا تَكُونُوْا أَعْرَاباً** - تلاحظون التركيز على هذا العنوان، لأنَّ الَّذي لا يأخذُ الفقه والتفقُّه بحسبِ منهج العترة الطاهرة، بحسبِ مضمونِ بيعة الغدير من قُرآنهم المفسَّر بتفسيرهم ومن حديثهم المفهَّم بتفهيمهم فهو أعرابيٌّ فهو ناصبيٌّ - **عَلَيْكُم بِالتَفَقُّه فِي دِينِ الله وَلَا تَكُونُوْا أَعْرَاباً فَإِنَّهُ مَنْ لَم يَتَفَقَّه فِي دِيْنِ الله لَم يَنْظُر اللهُ إِلَيْه يَومَ القِيَامَة وَلَم يُزَكِّ لَهُ عَمَلاً.**

إذا ما ذهبنا إلى بابٍ من الأبواب الَّتي يتحدَّثُ فيها أئمَّتُنا صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليهم أجمعين، إلى صفحة (٤٢٠)، بابُ من ادَّعى الإمامة وليسَ لها بأهل، ومن جحدَ الأئمَّة أو بعضهم، ومن أثبت الإمامَة لمن ليس لها بأهل، أقرأ عليكم روايةً واحدةً من هذه الأحاديث الوفيرة والكثيرة، صفحة (٤٢٣)، إنَّهُ الحديثُ الثاني عشر: **بِسنده** - بسند الكليني - **عَن ابنِ أَبِي يَعفُور** - شخصيةٌ شيعيّةٌ معروفة - **قَالَ: سَمعْتُ أَبَا عَبْد الله** - إنَّهُ إمامنا الصَّادق صلواتُ الله عليه - **يَقُول: ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ الله إِلَيْهِم يَومَ القِيَامَة وَلَا يُزَكِّيهِم وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيم** - مَن هُم؟ - **مَنْ ادَّعَى إِمَامَةً مِنَ الله لَيْسَت لَهُ** - هؤلاء هُم الأعرابيّان ومن على سيرتهم، وهؤلاء هم أئمَّةُ الخطابيّة والنُّصيريّة من الَّذين ماتوا ومن الأحياء هؤلاء هم ومن أمثالهم - **وَمَن جَحَدَ إِمَامَاً مِنَ الله، وَمَن زَعَمَ أَنَّ لَهُمَا فِي الإِسْلَامِ نَصِيباً** - أنَّ لهما؛ أنَّ للأعرابيين، أو لأنَّ (وَمَن زَعَمَ أَنَّ لَهُمَا فِي الإِسْلَامِ نَصِيباً)، أنَّ لهما في الإسلام نصيباً؛

للأعرابيين للأوَّل والثاني، أو أنَّ المراد؛ للَّذين ذكرهما الحديث: (**مَنْ ادَّعَى إِمَامَةً مِنَ الله لَيْسَت لَهُ، وَمَن جَحَدَ إِمَاماً مِنَ الله**)، والمعاني هي هي، بالنتيجة سنعودُ إلى نُقطة واحدة إلى مركزٍ واحد، فهذه الأجواء في هذا الحديث هي هي في هذا الحديث، لماذا؟ لأنَّ الحديث يُخبِرنا عن الجهة الَّتي يكونُ فيها الشيعيّ أعرابياً، إذا ما أخذ دينهُ وفقههُ منها، وإنَّ التفقُّه وإنَّ الدين لا يُؤخذُ إلَّا من عليٍ وآل عليٍ بحسبِ بيعة الغدير.

الحديثُ الثامن: **بِسنده، عَن جَمِيْلِ بن دَرَّاج، عَن أبان بنِ تَغلب، عَن إِمَامنَا الصَّادقِ صَلواتُ الله عَلَيْه: لَوَددْتُ أنَّ أَصْحَابِي ضُرِبَت رُؤُوسُهُم بِالسِّيَاط حَتَّى يَتَفَقَّهُوْا** - وهناك مَن قرأ الحديث: (لَوَددتُ أنَّ أَصْحَابِي ضَرَبْتُ رُؤُوسَهُم - الإمام هو الَّذي يقوم بذلك - ضَربتُ رُؤُوسهم بِالسياط حتَّى يَتَفَقَّهُوا) ، والقراءةُ الأولى هي الأوجه. فهل أنَّ الإمام حينما يتحدَّثُ بلسانِ كهذا اللسان يتحدَّثُ عن أمرٍ مُستحبّ عن أمرٍ مندوب؟ إنَّهُ يتحدَّثُ عن أمرٍ واجبٍ ومن أشدِّ الواجبات، فهذا الكلامُ يكشفُ عن أنَّ التفقُّه وليسَ الفقه، تَفَقُّه، تَفَقُّه، تعمّق، تَفعّل، تطوّر..

أعودُ إلى العبادة؛

إنَّني أُحدِّثكم عن برنامجِ حياة، فليسَ المرادُ من العبادة ما يُصوَّرُ بالصَّلاة أو بالصيام هذه عباداتٌ، وهذه مصاديقُ واضحة للعبادة، ولا شكَّ في ذلك لكنَّني لا أتحدَّثُ هنا عن طُقوس، سيأتي الحديثُ عن الطقوس إنَّما أتحدَّثُ عن العبادة الغاية من خلقنا، فإنَّ الله خلقنا لأجل العبادة، ليسَ لأجل الركوعِ والسجود، الركوعُ والسجودُ هو مصداقٌ من مصاديق العبادة، وإنَّما خلقنا كي يكونَ برنامجُ حياتنا هو هذا البرنامج، العبادةُ برنامج حياة، ما هي بطقوسٍ مُشخَّصة مُعيّنة في كيفيّة مُعيّنة في زمانٍ مُعيّن، هذه الطقوسُ هي من مصاديقِ هذا البرنامج.

الآيةُ السادسةُ والخمسون بعدَ البسملة من سورة الذاريات: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾، هو هذا الَّذي أتحدَّثُ عنه، فإنَّ الله لم يخلق الجنّ والإنس لأجلِ أن يُواصلوا ركوعهم وسجودهم، فما ذلكَ بالعبادة الَّتي تتحدَّثُ الآيةُ عنها، الركوعُ والسجودُ والطقوسُ وسائرُ العبادات الأخرى هي مصاديق من هذا البرنامج الواسع الَّذي هو برنامجُ حياة.

﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾، هذه الحكمةُ من خلقنا، وهذه العلَّةُ من خلقنا، وبعبارة أخرى فإنَّ الآية جاءت بهذه الصيغة كي تُلفت أنظارنا إلى أهميةِ هذا البرنامجِ في حياتنا، من أنَّني خلقتكم لأجلِ أن تعملوا بهذا البرنامج، إنَّهُ برنامجُ الحياة، برنامجُ العبادة، وهو تطبيقٌ عمليٌ للعقيدة التوحيديّة.

- **إذاً التوحيدُ**؛ عقيدةُ حياة.
- **والعبادةُ**؛ برنامجُ حياة.

هذه خُلاصةٌ موجزةٌ لكُلِّ ديننا في بُعده النظري وفي بُعده العملي.

ليُطبِّقوا هذا البرنامج، والَّذي عنوانهُ الجامعُ المانعُ (**معرفةُ الإمام**)، من هنا؛ (**مَن لَم يَعرِف إِمَام زَمَانه مَاتَ ميتَةً جَاهليّة**)، الميتةُ الجاهليّةُ هي الميتةُ خارجَ هذا السياق، خارج سياقِ العبادة، فإنَّ الَّذي لا يعرفُ إمامَ زمانه لا يُحقِّقُ الغاية من خلقته فلذا سيموتُ ميتةً جاهلية.

وفي بعض الأحاديث في كلمات إمامنا الصَّادق صلواتُ الله عليه: (**مَن بَاتَ لَيلَةً** - ليلةً واحدةً - **لَا يَعْرِفُ فِيهَا إِمَامَ زَمَانِهِ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّة**)، ماتَ ميتةً جاهليّة؛ ليسَ أنَّهُ ماتَ في تلكَ الليلة، لكنَّ هذا يعودُ بنا إلى هذهِ القاعدة الواضحة؛

- **مَن تَساوى يَوْمَاه فَهُو مَغْبُون.**
- **وَمَن كَان أمسهُ أفضلَ من يومه فهُو مَلعُون.**
- **ومن كانَ يومُهُ أفضلَ من أمسه فَهُو مَأمُون.**

هذه القاعدةُ تُلخِّصُ لنا ثقافة العترة الطاهرة بخصوص حركة الإنسان العقائديّة، بخصوص مسيرة الإنسانِ في حياته الدينيّة والدنيوية، (**فَمَن بَاتَ لَيلَةً لَا يَعرِفُ فِيهَا إِمَامَ زَمَانه مَاتَ ميتَةً جَاهليّة**).

مثلما قلتُ لكم العبادةُ؛ برنامجٌ، هذا البرنامجُ يشتملُ على الجانب العقائدي، وعلى الجانبِ المعرفي والثقافي، وعلى الجانب العبادي والطقوسي، وعلى الجانب الأخلاقي والسلوكي، وعلى كُلِّ التفاصيل الَّتي ترتبطُ بالأعراف والعلاقات الإنسانيّة والاجتماعيّة، وبالتعامُل الاقتصادي، وبكُلِّ ما يرتبطُ بقوانين الحياة الَّتي ترتبطُ بالبيئة من حولنا، وبالكائنات من حولنا، وبكُلِّ ما نُخطِّطُ لهُ لمستقبلنا، وما يرتبطُ ببرنامج التمهيد للمشروع المهدوي الأعظم، كُلُّ التفاصيل دَخيلةٌ في هذا البرنامج.

أمَّا أن نتصوَّر أنَّ المراد من أنَّ الله خلق الجنَّ والإنسان لكي يُواصل الركوع والسجود فهذا كلامٌ هُراء، هُناكَ من العُبّاد الَّذين تفرّغوا للعبادة يتصوَّرون أنَّ الأمر هكذا، الأمر ليس هكذا.

هذا يذكرني بآية في سورة الأعلى:

إنَّها الآيةُ الخامسةُ بعد العاشرة بعد البسملة من سورة الأعلى: ﴿**وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى**﴾ الآية الَّتي قبلها: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى ۝ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى**﴾ ، في الجزء الثاني من الكافي الشريف من الطبعة نفسها، رواية جميلةٌ بهذا الصَّدد، صفحة (٤٨٥)، إنَّهُ الحديثُ الثامن عشر، (بابُ الصلاة على النَّبي مُحَمَّد وأهل بيته صلواتُ الله عليهم): **بِسنده، عَن عُبيد الله بنِ عَبْد الله الدَّهقَان، قَالَ: دَخَلتُ عَلَى أَبِي الحَسَنِ الرِّضَا صَلواتُ الله عَلَيه، فَقَالَ لِي** - الإمامُ يسألُ عُبيد الله هذا - **مَا مَعْنَى قَولِه: "وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّه فَصَلَّى"؟ قُلتُ: كُلَّما ذَكَرَ اسْمَ رَبَّه قَامَ فَصَلَّى** - قامَ أي توضأ وبعد ذلكَ توجه إلى القبلة وصلَّى ركعتين على الأقل، حتَّى يُقالُ لهُ قدَ صلَّى. - **فَقَالَ لِي: لَقَد كَلَّفَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ هَذَا شَطَطَاً** - هذا تكليفٌ ليس منطقياً! الشططُ؛ هو الإفراطُ في الشيء، والشططُ في أصل اللغة هو الإفراطُ في الظلم، حينما يُفرِطُ الظالمُ في ظُلمه فإنَّهُ قد فعل شططاً، الشَّططُ؛ الإفراط، فالإمامُ الرضا يقولُ لعبيد الله الدهقان: إذا كانَ الله يُكلِّفُ العباد بهذا النحو لقد كلَّفهم تكليفاً بعيداً جِدَّاً فوق طاقتهم، فهو يأمرنا بذكره دائماً، والقاعدةُ معروفةٌ،

والقاعدةُ هذه منهم من ثقافتهم؛ (ذكرُ الله حَسَنٌ عَلَى كُلِّ حَال) ، فكُلَّما ذكرنا الله توضأنا وتوجَّهنا إلى القبلةِ وصلّينا ركعتين على الأقل هذا تكليفٌ يصعُبُ على الإنسانِ أن يُنجزه، بل قَد يكونُ مستحيلاً.

فَقَالَ لِي: لَقَد كَلَّفَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ هَذَا شَطَطاً، فَقُلتُ: جُعِلتُ فِدَاك فَكَيْفَ هُوَ؟ - ما معنى هذه الآية: "وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى"؟ - **فَقَالَ: كُلَّما ذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ صَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ وآله** - والكلامُ هنا فيه نحو مُداراة، صحيحٌ من أنَّ الصَّلاة على مُحَمَّد وآل مُحَمَّد مُستحبّةٌ مندوبةٌ مُهمَّةٌ في كُلِّ حال من الأحوال، وعند ذكرِ الله سُبحانَهُ وتعالى، لكنَّ المسنون والمشروع من الشرع الَّذي نعرفهُ من أنَّ الاستحبابَ يتأكَّدُ إن لم يكن واجباً في بعض الأحيان، فالاستحبابُ يتأكَّدُ عندَ ذكرِ مُحَمَّد صلَّى اللهُ عليه وآله، فالمرادُ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّه؛ وذَكَرَ اسمَ مُحَمَّد، فمُحَمَّدٌ ربّ الدِّينِ وربّ الإسلامِ وربّ القُرآن، تستثقلون ذلك؟! تعال قول لي؛ انتَه تستثقل هذا المعنى، ما أنت يُقالُ لكَ ربّ الأسرة، وزوجتك ربَّةُ المنزل، وربَّةٌ تأنيثٌ من ربّ، وأبوك ربّ العمل، أدري ماخذين الربوبيّة افلاحة املاچة، بس من يجي الكلام عن رسول الله تستثقلون ذلك؟!

ما أنا قلتُ: هو ربّ الدين، هو ربّ الإسلام، من الَّذي ربّى هذا الدين؟ الربّ؛ المربِّي، مَن الَّذي ربّى هذا الدين؟ من الَّذي ربّى هذا الإسلام؟ من الَّذي ربَّانا؟ مُحَمَّدٌ صلَّى اللهُ عليه وآله، فهو رَبَّنا في هذهِ الجهات، وهو رَبَّنا بحسب الإطلاق القُرآني بشرط أن نُحافِظ على المقامات، وأن نُحافظ على الاتجاهات..

في (علل الشرائع) للشيخ الصدوق رحمةُ الله عليه، البابُ التاسع من الجزء الأوَّل من علل الشرائع، الحديث الثاني عشر: **بِسَنده، عَن جَمِيْلِ بنِ دَرَّاج، عَن إمَامنَا الصَّادق صَلواتُ الله وسَلامهُ عَلَيْه** - وجميلٌ هذا كانَ معروفاً في أصحاب الإمام الصَّادق بكثرة العبادة،

جميلُ بن درَّاج يُحدِّثنا عن إمامنا الصَّادق صلواتُ الله وسلامهُ عليه، يقول: **سَألتُهُ عَنِ قَولِ الله عَزَّ وَجَلَّ: "وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ"؟ قَال: خَلَقَهُم لِلعِبَادَة، قُلتُ: خَاصَّةً أمْ عَامَّة؟** - خاصَّةً أم عامَّة؛ يعني هل هناكَ نحوٌ خاصٌ من أنحاء العبادة أم هذا العنوان عنوانٌ عام؟ - **قُلتُ: خَاصَّةٌ أمْ عَامَّة؟ قَالَ: لَا بَل عَامَّة** - إنَّهُ برنامجٌ عام برنامج حياة، الروايةُ دقيقةٌ جِداً وسؤال جميل بن دراج سؤالٌ دقيقٌ جِدَّاً، خُصوصاً وأنَّهُ كانَ من العُبّاد، قد يُوصَفُ بأنَّهُ أعبدُ أصحاب الصَّادق صلواتُ الله عليه.

كما قلتُ لكم قبل قليل: من أنَّ العبادة برنامجُ حياة، والعبادةُ برنامجُ حياة ليسَ خاصَّاً بعالمنا الدنيوي، فإنَّ أحوال العباد لن تخرج عن برنامج العبادة حتَّى في الجنان، ما تتحدَّثُ عنهُ الرواياتُ الشريفةُ من أنَّ التكاليف تنتهي بموت الإنسان إنَّها تكاليفُ عالمِ الدنيا، ولكن في كُلِّ مقامٍ من المقاماتِ هناكَ عبادةٌ بحسبِ ذلكَ المقام، فالآيةُ: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ لم تتحدَّث عن الدنيا، ما قالت ما خُلِقُوا بحدود مرحلة الدنيا، الدنيا مرحلةٌ من مراحلِ وجودنا، ومرحلةٌ من مراحلِ حياتنا، ومرحلةٌ من مراحلِ خلقَتنا، فنحنُ لسنا مخلوقين للدنيا فقط، ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ ، في الدنيا وفي غير الدنيا، ولكن في كُلِّ عالمٍ بحسبه، أليس في الجَنَّةِ هناك من برنامجٍ للحياة، هو هذا برنامجُ العبادةِ في الجنَّة.

الحديثُ الخامس من نفس الباب: **عن مَسْعَدَة بنِ زِياد قَالَ، قَالَ رَجُلٌ لجَعْفَرِ بنِ مُحَمَّد** - لإمامنا الصَّادقِ صلواتُ الله عليه - **يَا أبَا عَبْد الله، إنَّا خُلِقْنَا لِلْعَجَب، قَالَ: وَمَا ذَاكَ للَّه أنْت؟** - لماذا خُلقنا للعجب؟ - **قَالَ: خُلِقْنَا لِلْفَنَاء** - مرادهُ عجيبٌ أمر الله! هكذا يريدُ أن يقول، خلقنا وبعد ذلكَ سنَذهبُ للفناء للعدم، مُراده من الفناء هنا العدم، لأنَّ الفناء تأتي بمعنى العَدم، ويأتي الفناء بمعنى الاندثار، والاندثارُ ما هو العدم، وإنَّما انعدامُ الفاعليةِ حينما تنعدمُ الفاعليّةُ في الكائنَ فإنَّهُ سيندثر، لكنَّ هذا لا يعني أنَّهُ قد عُدم، قد عُدم وجودهُ، وإنَّما اندثرت فاعليتهُ.

فماذا قالَ لُه إمامنا الصَّادق؟ - **مَه يَا ابْنَ أخ** - (مه) اسمُ فعلٍ بمعنى اكفُف، ما هَذا الَّذي تَقولهُ؟! - **فَقَالَ: مَه يَا ابْنَ أخ، خُلِقْنَا لِلْبَقَاء** - ما خُلقنا للعدم، نعم سنمرّ بمرحلة الفناء وهي مرحلةُ الاندثار - **خُلِقْنَا لِلْبَقَاء** - ويستمرّ الإمامُ صلواتُ الله عليه: **وَكَيْفَ تَفْنَى جَنَّةٌ لَا تَبِيدُ وَنَارٌ لَا تَخْمُد؟ وَلَكن قُلْ إِنَّمَا نَتَحَرَّكُ من دَارٍ إِلَى دَار** - من حال إلى حال وهذا هو الَّذي قصدتهُ من أنَّنا سنفنى ولكنَّهُ ما هو بعدم، سنمرّ بمرحلة فناء، ﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۞ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**﴾ ، هناك فناء، هذه المرحلةُ سنمرّ بها جميعاً، الملائكةُ أجمع، الجنُّ أجمع، البشرُ أجمع، كُلُّ الكائنات، ستمرّ بحالة فناء، ﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ**﴾، هذا ما هو بعدم إنَّهُ اندثار.

فالعبادةُ لها خُصوصيّاتها، لها طقوسها، لها أحكامها، لها شؤونها في الدنيا، وحينما ننتقلُ إلى عالمِ القبر فالبرنامجُ الَّذي يجري علينا هناك هو برنامجُ عبادة أيضاً، وحينما ننتقلُ إلى مرحلة الرّجعة بعد القبر إذا كُنَّا من الرّاجعين فالبرنامجُ أيضاً هو برنامجُ عبادة، وحينما ننتقلُ إلى المراحلِ والمحطّات الأخرى باتجاه يوم القيامة، البرنامجُ الحاكمُ في وجودنا وحياتنا هو برنامجُ عبادة ولكن في كُلِّ مقطع بحسبِ ذلكَ المقطع من مقاطعِ حياتنا، إلى أن ندخل إلى الجنان وبرنامجُ الجنان أيضاً هو برنامجُ حياة، ألا يتواصلون مع مُحَمَّد وآل مُحَمَّد؟ ألا يشكرونَ مُحَمَّداً وآلَ مُحَمَّد؟ ألا يُسبحون الله؟ ألا يذكرون الله؟ ألا ألا ألا، مع أنَّنا لا نمتلكُ كُلَّ التفاصيل ولكن هناك برنامجُ حياةٍ في الجنان، هناك برنامجُ حياةٍ في مواقف يوم القيامة، هناك برنامجُ حياةٍ في إرهاصاتِ يوم القيامة، هناك برنامجُ حياةٍ في مرحلة الرّجعة، هناك برنامجُ حياةٍ في الحياةِ في عالمِ القبر وعالمُ القبر عالمٌ وسيعٌ فسيح، فيه ما فيهِ من الجنانِ والنيران..